

184499 - هل كان اسم النبي قبل الوحي " قُثم " ؟

السؤال

هل صحيح أن الرسول كان اسمه قُثم قبل نزول الوحي أم هو مجرد اللطعن في النبوة ؟ وهل توجد روايات تدعم هذا الزعم ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً : ضَبُط ومعني اسم " قُثم " في لغة العرب .
لو أردنا في البداية أن نعلم كيف يُنطَق هذا الاسم ؟
سنجد أنه يُنطق بالتشكيل التالي : " قُثْمٌ " بضمّ القاف وفتح الثاء ، كما ينطق اسم : "عُمر". لسان العرب (12/461) .
ما معني هذا الاسم في لغة العرب ؟
بمطالعة معاجم اللغة سنجد أن مادة القاف والثاء والميم تدلُّ على الجمع والإعطاء .
من ذلك قولهم : رجلٌ قُثْمٌ : مِعْطاء ، والقُثْمُ والقَثُوم : الجَموع للخير ، ويقال للرجل إذا كان كثير العطاء (قُثْمٌ) ، و (القُثْمُ) : المجتمع الخلق ، وقيل هو : الجامع الكامل .
انظر : " لسان العرب " (12/461) ، و "مقاييس اللغة " (5/59) .
مما سبق يتضح أن المعاني التي تدل عليها مادة (قُثْمٌ) في لغة العرب معاني مدح وثناء .
ثانياً : هل كان (قُثْمٌ) هو اسم النبي قبل الوحي ؟!
هذه شبهة من الشبهات التي يحرص علي ترديدها الاستشراق المعاصر .
حيث جاءت في كتابات المستشرق الألماني تويودور نولدكه (1836/ 1930 م) صاحب كتاب " تاريخ القرآن " ، وردّها أيضاً المستشرق النمساوي لويس سبرنجر (ت 1893 م) في كتابه عن سيرة النبي ، والمستشرق الفرنسي اليهودي هرتويغ درنبرغ (ت 1908 م) ، والمستشرق الإيطالي الأمير ليون كايثاني في كتابه الشهير " حوليات الإسلام " .
انظر : " تاريخ العرب في الإسلام " لجواد علي (97-98) ، " هل بشرّ الكتاب المقدس بمحمد صلى الله عليه وسلم " لد. منقذ السقار (129) .

وقد تابع المستشرقين في ترديد هذه الشبهة بعض تلامذتهم من المسلمين ، ممن لا ينبغي للبال أن ينشغل بأسمائهم .

والهدف من إثارة هذه الشبهة يتمثل فيما يلي :

أ- إشاعة الشك عند المسلم في كل شيء ، حتى يشك المسلم في كل أمور دينه ولا يطمئن إلى أيّ منها ، وهذه خطة قديمة

جرى عليها كثير من المستشرقين والمبشرين وأذئابهم من المسلمين من بين أظهُرنا ومن بنى جلدتنا .

ب- فرار أحبار اليهود والنصارى من الإشارة إلى بشارة التوراة والإنجيل بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وورود اسمه الصريح فيهما .

وبعد بيان مصدر هذه الشبهة وهدفها نذكر الرد الشرعي والتاريخي والعقلي والمنطقي علي هذه الشبهة في النقاط التالية :
النقطة الأولى : لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم معروفاً باسم (محمد) منذ طفولته ، والأدلة علي ذلك كثيرة ومتواترة شرعاً وعرفاً وتاريخاً ، ونكتفي منها بما يلي .

جاء الصبيان الصغار أثناء فترة رضاعة النبي إلي مرضعته (حليلة) ، وأخبروها بما حدث للنبي عند شق صدره ، وأخبروا عنه باسم (محمد) .

حيث جاء في الرواية الصحيحة الواردة في معجزة شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم : " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه ، فاستخرج القلب فاستخرج منه علة ، فقال : هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ، ثم أعاده في مكانه ، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه (يعني مرضعته) ، فقالوا : إن محمداً قد قُتل ، فاستقبلوه وهو منتقع اللون ، قال أنس : وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره " .
صحيح مسلم " باب : الإسراء برسول الله " رقم : (162) .

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه عن كثرة أسمائه ، فعن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن لي أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب) .

أخرجه الإمام البخاري في كتاب المناقب ، باب : ما جاء في أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رقم : (3339) ، والإمام مسلم في كتاب الفضائل ، باب : في أسمائه صلى الله عليه وسلم ، رقم : (2354) .

النقطة الثانية : إذا كان اسم الرسول الأصيل هو " قُتْم " فلماذا غيَّره النبي ، بالرغم من أنه اسم يدل على الكرم وكثرة العطاء ، ومن ثمَّ فهو مدح وليس ذمّاً ؟!

النقطة الثالثة : إذا كان اسم (قُتْم) هو اسم النبي - صلى الله عليه وسلم - لأربعين عاماً ولم يحمل اسماً غيره ؛ فكيف خفي ذلك على أعدائه من كفار قريش في مكة ، ثم من اليهود والمنافقين في المدينة ، ثم من سائر المرتدين في الجزيرة العربية ، ثم من أعداء الإسلام على مرِّ القرون ، كيف خفي ذلك علي كل هؤلاء ولم يتخذوه مطعناً علي النبي ، بالرغم من شدة عداوتهم للنبي - صلى الله عليه وسلم - وبحثهم عن أيِّ مطعن في النبي ولو خفي ودقَّ ؟!

فهذا هو أبو سفيان عندما وقف أمام هرقل وقت ورود رسالة النبي لهرقل التي دعاه فيها إلي الإسلام ، لم يتحدث عن شيء من ذلك ؛ رغم أن رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل كانت تبدأ بجملة : " من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم... " ، فلو كان الاسم الأصلي للنبي هو " قُتْم " لاستغل ذلك أبو سفيان الذي كانت بينه وبين الرسول في ذلك الوقت ثارات وحروب .

وكان بإمكان أبي سفيان - لو كانت هذه الدعوي صحيحة - أن يقول لهرقل : إنه لا يُدعى " محمد " بل اسمه " قُتْم " ، ولكانت

تلك - حقاً - القاصمة ، والفاصلة أيضا ؛ إلا أن ذلك لم يحدث .

ينظر : " صحيح البخاري " - كتاب بدء الوحي - ، " باب : كيف كان بدء الوحي إلي رسول الله " رقم : (7) .

وإذا كان أبو سفيان ، وصناديد قريش ، وهم أهل النبي صلى الله عليه وسلم ، وعشيرته ، والعارفون به وبسيرته ونسبه ، وأصله وفصله ؛ إذا كانوا قد سكتوا عن ذلك ، أو بالأحرى : لم يعلموا بوجوده أصلاً ؛ فكذلك فعل أحبار أهل الكتاب في زمان النبي ، ولا عجب ، فلم ينطق أحد منهم في ذلك ، ومن الممتنع أن يكون عندهم خبر منه ، ثم لا يشنعون عليه ، ولا يطعنون في صدقه ونبوته به .

لقد قرّر القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، وكتب التاريخ والسير والأدب وأشعار العرب أن اسمه صلى الله عليه وسلم محمدٌ ، وأن النبي خاطب الناس بهذا الاسم ، واستخدمه في العهود والمواثيق والمبايعات والرسائل إلى الملوك ، ولم يناقشه أو يعترض عليه أحد من معاصريه وأعدائه في ذلك .

فهل يُترك كل هذا ويُلتفت إلى عدة نصوص ضعيفة أو مجهولة السند في كتب السير والتاريخ ؟!

إنَّ للنبي أسماءً جاء بيانها في القرآن والسنة ؛ منها : محمد ، وأحمد ، والمتوكل ، والمحي ، والهاشر ، والعاقب ، والمقفي ، ونبي التوبة ، ونبي الرحمة ، ونبي الملحمة ، والفتاح ، والأمين . انظر : " زاد المعاد " للإمام ابن القيم (1/85-86) . وليس اسم (قُثم) من هذه الأسماء التي أخبر بها النبي عن نفسه ، ولم ترد التسمية به في الروايات أو الآثار الصحيحة الثابتة في كتب السنة النبوية .

مستفاد من : مقال للدكتور إبراهيم عوض في الرد علي هذه الشبهة - عنوان الرابط : <http://ibrahimawad.net.tf> ، " التنصير عبر الخدمات التفاعلية لشبكة المعلومات العالمية " - رسالة ماجستير للباحث : محمد بن موسى المجمالي (282): (284) .

ثالثاً : الروايات التي ورد فيها اسم (قُثم) ، وبيان درجتها .

أ- روايات كتب الحديث :

روى ابن عدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن لي عند ربي عشرة أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا العاقب الذي ليس بعدي نبي ، وأنا الهاشر الذي يحشر الخلائق معي على قدمي ، وأنا رسول الرحمة ، ورسول التوبة ، ورسول الملاحم ، وأنا المقفي قفيت النبيين ، وأنا قُثم " . أخرجه ابن عدي في " الكامل " (7/64) .

درجة الحديث :

هذا الحديث رواه ابن عدي بسنده في الكامل وفيه أبو البختری ، قال ابن عدي بعد أن ساق الحديث : " وهذه الأحاديث عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة بواطيل ، وأبو البختری جسور من جملة الكذابين الذين يضعون الحديث ، وكان يجمع في كل حديث يريد أن يرويهِ أسانيد من جسارته على الكذب ووضعه على الثقات " . انتهى من " الكامل في الضعفاء " لابن عدي (7/65) .

قال الحافظ العراقي في تخريجه لأحاديث إحياء علوم الدين (2/383) : " أخرجه ابن عدي من حديث علي وجابر وأسامة بن

زيد وابن عباس وعائشة بإسناد ضعيف .

وله ولأبي نعيم في الدلائل من حديث أبي الطفيل : " لي عند ربي عشرة أسماء ، قال أبو الطفيل : حفظت منها ثمانية فذكرها بزيادة ونقص ، وذكر سيف بن وهب أن أبا جعفر قال : إن الاسمين طه ويس ، وإسناده ضعيف " . انتهى وقال تاج الدين السبكي في " طبقات الشافعية " (6/287) : (وهذا فصل جمعت فيه جميع ما في كتاب الإحياء من الأحاديث التي لم أجد لها إسناداً) . انتهى

وذكر منها حديث (وأنا قثم) . انتهى من " طبقات الشافعية " (6/330) مما سبق يتبين أن هذه الرواية ورد في سندها أبو البختری الكذاب الوضّاع ، وذكرها أئمة الحديث في الضعيف والمردود وما لا إسناد له من روايات الحديث .

بـ روايات كتب السيرة وغيرها :

ورد ذكر هذا الاسم في عدة مواضع في كتب السيرة وغيرها ، فقد ذكر القاضي عياض في كتابه " الشفا بتعريف حقوق المصطفى " (1/231-232) : (... وذكر غيره لي عشرة أسماء فذكر الخمسة التي في الحديث الأول ، قال : وأنا رسول الرحمة ورسول الراحة ورسول الملاحم وأنا المقفى قفيت النبيين وأنا قيم والقيم الجامع الكامل كذا وجدته ولم أروه وأرى أن صوابه قثم بالثاء ...) . انتهى

وورد هذا الاسم كذلك في : " خلاصة سير سيد البشر " (72-73) ، " سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد " (1/244) ، " السيرة الحلبية " (1/131) ، " صفة الصفوة " (1/55) ، " المواهب اللدنية بالمنح المحمدية " (1/473) ، " النهاية في غريب الأثر " (4/27) .

الاعتبار الذي أورد به كُتّاب السِّير اسم (قُثم) في كتبهم :

لقد أورد عدد من كُتّاب السِّير اسم (قُثم) في مواضع من كتبهم عند حديثهم عن أسماء النبي ، إلا أنهم أوردوه علي اعتبار أنه لقب من الألقاب أو صفة من الصفات التي وصلتهم عن النبي ، ولم يذكر واحد منهم أن هذا الاسم كان هو الاسم الأصلي أو الأول للنبي ، وفيما يلي طرف من النقولات التي توضّح ذلك .

قال الإمام المحب الطبري في " خلاصة سير سيد البشر " (72) : (وقد ذكر له أسماء كثيرة اقتصرنا على المشهور منها ، منها المتوكل والفتاح والخاتم والضحوك والقتال والأمين والمصطفى والرسول والنبي الأمين والقثم ، ومعلوم أن أكثر هذه الأسماء صفات) . انتهى

وقال الإمام القسطلاني في " المواهب اللدنية بالمنح المحمدية " (1/445) : (ورأيت في كتاب " أحكام القرآن " للقاضي أبي

بكر بن العربي : قال بعض الصوفية : لله تعالى ألف اسم ، وللنبي صلى الله عليه وسلم ألف اسم . انتهى

والمراد الأوصاف : فكل الأسماء التي وردت أوصاف مدح ، وإذا كان كذلك ، فله صلى الله عليه وسلم من كل وصف اسم ، ثم إن منها ما هو مختص به أو الغالب عليه ، ومنها ما هو مشترك ، وكل ذلك بيّن بالمشاهدة لا يخفى ، وإذا جعلنا له من كل وصف من أوصافه اسماً بلغت أوصافه ما ذكر ، بل أكثر) . انتهى

بان مما سبق أن كل ما ورد في كتب السِّير تحت عنوان (أسماء النبي) ما هي إلا ألقاب أو صفات ما عدا (محمد وأحمد) ،

وقد نصّت روايات السنة الصحيحة على عددٍ قليلٍ جداً من هذه الألقاب والصفات ، ثم أضاف المسلمون إليها الكثير مما لم يُسمَع من النبي ومما لم يرد به إسناد ، حتى لقد بلغ بعضهم بهذه الصفات والألقاب النبوية ألفاً .

رابعاً : لا يعتمد على روايات المؤرخين فيما له تعلق بحكم شرعي أو عقدي :

من المعلوم أنه قد اشتهر من علماء الإسلام طائفة ممن لهم عناية واهتمام بالتواريخ والسير والمغازي وأخبار الإسلام ، وهم المعروفون بأئمة المغازي أو الأخباريين .

ولا يخفي علي الباحثين أن منهج النقد الذي وضعه المحدثون لم يكن له حضور عند أكثر من كتب في السيرة النبوية وتاريخ الإسلام ، حيث كانوا يسوقون الأخبار والروايات من غير نقد ولا تمحيص ، ولهذا بقي المحدثون يتتبعون أخبار السيرة النبوية بالنقد والتمحيص ليتميّز الصحيح فيها من الضعيف .

لذا ؛ فينبغي أن يُعلم أنه ليس كل ما أورده أهل السِّير والتاريخ يكون صحيحاً ، فقد ملئت كتب تلك الفنون بالباطل والمنكر ، فالخبر المجرد الذي ليس فيه نكارة ، ولا يُستنبط منه حكم شرعي ولا تؤخذ منه فائدة عقديّة ؛ يمكن التساهل في نقله .
أما حين يكون في متنه نكارة ، أو يكون فيه دلالة على حكم شرعي : فهنا يجب مراعاة قواعد أهل الحديث ، ومن هنا قال الإمام عبد الله بن المبارك رحمه الله : " لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء " . " صحيح الإمام مسلم " - باب في أن الإسناد من الدين - رقم : (32) .

وقد اختص الله تعالى هذه الأمة المباركة بالإسناد ، فحفظت به قرآنها وسنة نبيها صلى الله عليه وسلم .
قال الشيخ الألباني - رحمه الله - : (وقد يظن بعضهم أن كلّ ما يُروى في كتب التاريخ والسيرة أن ذلك صار جزءاً لا يتجزأ من التاريخ الإسلامي لا يجوز إنكار شيء منه ! ، وهذا جهل فاضح ، وتنكّر بالغ للتاريخ الإسلامي الرائع الذي يتميز عن تواريخ الأمم الأخرى بأنه هو وحده الذي يملك الوسيلة العلمية لتمييز ما صح منه مما لم يصح ، وهي نفس الوسيلة التي يميز بها الحديث الصحيح من الضعيف ، ألا وهو الإسناد الذي قال فيه بعض السلف : " لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء " ، ولذلك لما فقدت الأمم الأخرى هذه الوسيلة العظمى امتلأت تأريخها بالسخافات والخرافات ، ولا نذهب بالقراء بعيداً فهذه كتبهم التي يسمونها بـ " الكتب المقدسة " اختلط فيها الحابل بالنابل ، فلا يستطيعون تمييز الصحيح من الضعيف مما فيها من الشرائع المنزلة على أنبيائهم ، ولا معرفة شيء من تاريخ حياتهم أبد الدهر ، فهم لا يزالون في ضلالهم يعمهون ، وفي دياجير الظلام يتيهون !، فهل يريد منّا أولئك الناس أن نستسلم لكل ما يقال إنه من " التاريخ الإسلامي " ولو أنكره العلماء) . انتهى من " السلسلة الصحيحة " (5/331) .

فلا تُقبل رواية عند المسلمين بلا سند ، والسند يبين صحة الرواية أو ضعفها ، ولهذا قيل " من أسند فقد أحال " .
للاستزادة انظر : " مصادر السيرة النبوية وتقويمها " د. فاروق حمادة (104) ، " السيرة النبوية الصحيحة " د. أكرم ضياء العمري (40-1/39) .

والله أعلم .